وصف عيد الاضحى المبارك

في قصر « طوله باغجه »

يباشر الان سعادة الاستاذ الفاضل لويس بك صابونجي المترجم الخاص للحضرة السلطانية في المابين الهمايوني طبع كتاب نفيس حاو لكثير من الاوصاف وبيان الرحلات والحقائق العلمية والتاريخية. وقد وقفنا من بين فصوله العديدة على فصل يصف به حفلة عيد الاضحى المبارك التي يقيمها جلالة سلطاننا الاعظم في قصره العامر مع وصف ذلك القصر العظيم فاثرنا نقله ببعض الاختصار للدلالة على تلك العظمة الرائعة والموصوفات الباهرة التي يحويها ذلك القصر الجليل وقد يجهلها كثيرون من القراء

وصف حفلة الاضحى المبارك

يأمر مولانا امير المؤمنين اعزه الله بالاستعداد لعيد الاضحى السعيد قبل حلوله باشهر ويشير بانتخاب عدد معين من الاكباش الكبيرة فتنتقى وتعلف وتنظف ويمشط شعرها الى آخر ما تقتضيه الزينة وتشاء كثرة الانفاق والبذل حتى لقد يبلغ ثمن الكبش من الاكباش المعدة لجلالته خاصة نحو ثلاثين جنيهاً والمعد لقرابين الامراء انجاله الكرام نحو ٢٥ جنيهاً والمعد للحرم السلطاني من ١٥ الى ٢٠ ويبلغ عدد تلك الاكباش نحو مئة ثم يزداد هذا المقدار من مكارم جلالته بما يتفضل به على ذوي قرابته وموظفيه العديدين

ومتى حل هذا العيد السعيد يفد جلالة السلطان الى قصر (طوله

باغجه) بموكبه الحافل بالجيوش واعيان الدولة وعلى صدورهم وسامات الدولة خاصة اذ لا يجوز بالاطلاق ان يتقلد احد وساماً اجنبياً في حضرة امير المؤمنين ثم يتناول بعد وصوله السكين من احد موظفي المابين بعد ان يكون رعيان القصر قد اعدوا الاكباش ومشطوا صوفها الابيض الطويل وجعلوا على رؤوسها تيجاناً من الورق المزين بزهور مصنوعة وريش وقطع مرآة ثم تصف صفين بين يدي جلالته فيقبض كل جزار على قرن كبش منها ويكون الجزار لابساً جبة من الجوخ الاخضر تصل اذيالها الى الارض فيعطي جلالته السكين الى رئيس الرعاة ويأمره بذبح القرابين بالنيابة عنه ثم يدخل بعد ذلك الى

قاعة العرش

وهي قاعة قائمة في وسط قصر طوله باغجه المشيد على ساحل البوسفور من الجهة الاوربية وتعد اكبر قاعة في قصور الدنيا كلها في طولها وعرضها وارتفاعها وعليها قبة عظيمة قائمة على اثنين واربعين عموداً وقد وضع في صدر تلك القاعة على بعد ست اذرع من جدارها عرش امير المؤمنين موجه الى ناحية البحر وهو عرش مستطيل الشكل كالسرير يبلغ طوله نحو ذراعين ونصف وارتفاعه من الجهة الامامية نحو ذراع وعرضه نحو ذراع ونصف ويبلغ ارتفاعه من الجهة الخلفية ثلاث اذرع وكله قطعة واحدة وهو من الذهب الخالص الابريز المسبوك سبيكة واحدة في اجمل قالب والطف شكل وتبلغ ثخانته نحو ثلاث عقد وقد فرش مقعده بريش النعام وغطي بنسيج من الحرير الاحمر المحلى بخيوط الذهب. وقد كان هذا العرش العظيم لمماليك مصر من اسرة «الغوري» وقد غنمه عنهم السلطان سليم الغازي لما فتح الديار

المصرية عام ١٥١٢ للميلاد

اما موطئ هذا العرش حيث يضع امير المؤمنين قدميه فمفروش بالحرير الموشى باسلاك الذهب وشيا بديع الصنعة وقد قام على اربع زوايا العرش اربعة قناديل ضخمة من الفضة الخالصة يبلغ ارتفاع كل منها نحو ثماني اذرع وله قاعدة مسدسة يبلغ محيطهاست اذرع وعلى رأس كل قنديل عشرون مشعلا يتقد بها نور الغاز الهيدروجيني وعلى كل مشعل قبعة من البلور المنقوش مانعة لنفوذ الغاز منه بعد انطفائه. ويوجد ايضاً في كل زاوية من زوايا القاعة الاربع قنديل من البلور النقي في شكل ثريا بغاية الحسن . وقد علق بوسط القاعة ثريا هائلة في كبر حجمها وضخامتها وهي كلها من البلور النقي المثمن ومناطة بسلسلة نصفها الاعلى من الفضة والاسفل من جنس بلور الثريا

ويبلغ طول هذه الثريا نحو اربعين ذراعاً ومحيط دائرتها الوسطى نحو ثلاثين وقد ركبت من دوائر مختلفة الاقطار على ترتيب يناسب كبرها وعلق فيها نحو الفي مشعل لا يقاد نور الغاز الهيدروجيني . ويبلغ ثقل هذه الثريا ٨٥٠٠ اقة وقد اشتغل في تركيبها بالقاعة احد الصناع الاوربيين واقام على تركيبها نحو سنتين اذ انها صنعت في اوربا وجيء بها قطعاً الى الاستانة العلية اما ارض القاعة فرصوفة بقطع من خشب السنديان المصقول وقد صبغ بصباغ يشبه لون خشب الجوز وفرش بطنافس ثمينة منسوجة في المعمل السلطاني بالاستانة وهي تفرش بالقاعة ايام المعايدات وقاية للمعايدين من الزلق على ذلك الخشب المصقول صقل المرآة

وصف المعايدة السلطانية

ثم لما يفرغ امير المؤمنين من وفاء فريضة القرابين يذهب الى قاعة الاستراحة ثم ينهض الى قاعة العرش ويقف هناك بين جمهور الحرس السلطاني ويصدر امره بالمعايدة فيصطف رجال المابين وراء العرش صفاً واحداً يتقدمهم رئيس الحجاب (سر قرنا حاج علي بك) ورئيس الكتاب (تحسين بك) والكاتب (عزت بك) مع سائر الحجاب وجلاوزة الحرم (الاغاوات) فيقبل اولاً نقيب الاشراف وهو لابس جبة خضراء ويطاطئ ثلاثاً ويسلم بسلام الخلافة ويقف تجاه العرش على بعد عشر اذرع ويبسط ذراعيه ويتلو الفاتحة فيتلوه امير المؤمنين في ذلك ويتبعهما جميع من يكونون في القاعة من المسلمين . ومتى فرغ من قراءة الفاتحة يدنو نقيب الاشراف من العرش ويقبل ذيل امير المؤمنين ثم يرجع القهقرى ووجهه نحو العرش ويطاطئ راسه ثلاثاً ويسلم بيديه ثلاثاً ثم ينصرف . اما سلام الخلافة فهو ان ينحني الانسان الى الارض بنصف جسمه ويمد يده اليمنى الى ان تلمس الارض ثم يرفعها الى جبينه ويكرر ذلك ثلاث مرات على فترات اشارة الى ان تراب اقدام الخليفة على الرأس والعين . وفي المعايدين من يكرر السلام اكثر من ثلاث ويمشي الى الوراء مسافة طويلة ووجهه في وجه امير المؤمنين دون ان يلفت اليه ظهره حتى يغيب عن نظره

ثم يقبل الصدر الاعظم بعد نقيب الاشراف ويتلوه بقية الصدور السابقين والوزراء كل منهم في صف رتبته . ويبلغ عدد الوزراء من الملكية والعسكرية نحو مئة وعدد رجال (البالا) نحو ١٢٠ وعدد اصحاب الرتبة الاولى ٣٨ والصدور العظام من رتبة (روم ايلي بالياسي) نحو ١٧ ومن رتبة (اناطولي

سي) نحو ١٠ ومن رتبة (استانبولي بالياسي) نحو ٢٧ وعدد المشايخ من اصحاب رتبة الحرمين الشريفين نحو ١٦ . وقد وصف حضرة الاستاذ المشار اليه هذه المعايدة في العيد الذي مر بهذا العام وحدثت به الزلزلة التي ارتاع لها كل من حضر الا جلالته ولقد كنا نود اثبات وصفه لها وجلالته في تلك الساعة الهائلة لولا ضيق المقام عن ان يسعها ولكننا نذكر ما ذكره بعد الزلزلة التي حدثت اثناء المعايده قال . لما استراح امير المؤمنين بعد الزلزلة مدة ربع ساعة عاد الى قاعة العرش بين تهاليل الدعاء وانغام الموسيقى واقام واقفاً امام العرش فدخل اولا اخو شريف مكة المكرمة وعن شماله شيخ الاسلام ووقفا في وسط القاعة تحت الثريا تجاه امير المؤمنين وبسطا ايديهما وقرأ الفاتحة بصوت منخفض وقرأها جلالته وتبعهم في ذلك جميع المسلمين ثم صلوا وسلموا

ولما فرغوا من الدعاء تقدم اخو شريف مكة وشيخ الاسلام نحو العرش وارتمى الواحد منهم بعد الآخر على قدمي الخليفة يريدان تقبيلهما فامسك جلالته كلاً منهما بيده ورفعه تلطفاً فنهض ولثم يده ثم ذيله ورجع القهقرى مسلما سلام الخلافة ثلاث مرات وتبعه في ذلك سائر الصدور والمشايخ والموظفين وانتهت تلك الحفلة العظيمة في ذلك القصر النادر بين الدعاء لجلالته بالسلامة من ذلك الزلزال والابتهال لله تعالى بطول بقائه موصولا بالعز والاقبال

التربية البيتية

نشرت مجلاتنا العلمية والتهذيبية مقالات ليست بقليلة في موضوع التربية وخصوصاً التربية البيتية لاهمية امرها وعلو منزلتها ولما يترتب عليها من انتشار الفضائل الصحيحة وانهاض الهمم المتوانية ونجاح الاعمال وحسن المستقبل . نعم انها اثرت تأثيراً مهما في قلوب قرائها ونبهتهم الى امر خفيت عن افكارهم اهميته وغاب عن بصيرتهم خطره ولكنها لم تفد الفائدة المطلوبة فكأنها عرفتهم الحقيقة ولكنها لم تدلهم على السبيل المستقيم للوصول اليها . او لو اشارت بعضها الى مثل ذلك فانما كان على حسب ما بدا لاولئك الكتاب وكلهم تقريباً من الرجال فكان ذلك ضرب من التخمين لان كل واحد ذهب مذهباً مخالفاً لمذاهب الاخرين . ولم تقم للان على ما اعلم سيدة من سيدات بلادنا المتنورات بانوار العلم والادب ربت اولادها التربية الصحيحة فكتبت مقالة عن كيفية تلك التربية في احدى المجلات الجوالة لتكون موضوعاً للانتقاد ولتعرف التربية الصحيحة فيسير عليها الشرقيون ويربحوا من وراء ذلك ربحاً غير ممنون . هذا وقد عثرت في مطالعاتي الفرنسوية على مقالة في التربية البيتية او تربية الاولاد مدبجة ببراع الكاتبة الفرنسوية الشهيرة المركيزة دي لامبار بعثتها لرئيسة دير مادلين التي طلبت منها مثل هذه النصائح . على ان هذه الكاتبة قد خصصت وجودها وكرست حياتها لتربية اولادها وكتبت عن تلك التربية مقالات لطيفة تشبه ببلاغتها مقالات فنيلون . وقد اشتهر بهوها (قاعتها) بين رجال العلم والادب فكانوا يقصدونه